

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى ذُرِّيَّتِهِ إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد كنتُ قد أَلقيتُ دورة علمية في صيف عام ١٤١٩هـ حول علم التخريج ودراسة الأسانيد، وسُجِّلت تلك الدروس، ثم نُسخت بيد أحد طلابي حينها وهو الأستاذ الشريف وائل بن سلطان الحارثي، وقام بطباعتها الأستاذ الشريف خالد بن خلف الجودي، فجزاهما الله عني وعن العلم خيرًا، ولا أخلاهما من أجر ذلك وثوابه أبدًا.

وقد انتشرت تلك المذكرة انتشارًا واسعًا، وأصبحت مقررًا دراسيًا في عددٍ من المعاهد الشرعية بحمد الله تعالى، وصار الطلاب والمدرسون يتداولونها، رغم كثرة كتب التخريج المطبوعة، السابق منها واللاحق.

ومن ذلك العام وحتى هذا العام (١٤٣٨هـ)، وقد مضى نحو من عقدين، ما زالت تلك المذكرة كما هي، دون أي تصحيح أو إضافة. حتى عزمْتُ على إعادة النظر فيها، والقيام بالتصحيح والإضافة، مضيفًا كتبًا كثيرةً جدًّا لم تكن قد طُبعت حينئذ، ومنبهاً على ما فاتني التنبيه عليه، ومصوبًا ما أخطأتُ فيه، وتمامًا ما كان ضيقُ وقت تدريس الدورة قد أجبرني على اختصاره.

ولذلك فهذا المقررُ ناسخٌ لتلك المذكرة، ولم أعد أرغب من أحد الرجوع إلى المذكرة القديمة، مع صدور هذا المقرر، بما تمَّ فيه من تحسين كبير وإضافاتٍ نوعيةٍ مهمة. فمن أراد الاستفادة الأكبر نظر في هذا الإخراج، وأهمل القديم تمامًا، نصيحةً أبدلها لطلبة العلم.

وقد حرصت أن يكون هذا المقرّر متضمّنًا فوائد كثيرةً في علوم الحديث مبثوثة في متنه وحواشيه، وعرّفتُ بكثير من مصادر السنة وكتب الرجال، حتى أرجو أن يشمل هذا المقرّر مع التخرّيج درسًا مهمًا في التعريف بوجوه التصنيف في السنة وعلومها.

وشرطي في كل الكتب التي أذكرها: أني لا أذكر إلا كتابًا مطبوعًا، فإن ذكرتُ مخطوطًا أو مفقودًا لحاجةٍ نصصتُ على كونه غير مطبوع.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا المقرّر كما نفع بالمذكرة الأولى وأكثر، وأن يجعل مثوبته تزيد على ما أرجو وأكبر، برحمته وعفوه وكريم تجاوزه ﷺ.

وقد قسمت هذا المقرّر إلى تمهيد وقسمين كبيرين:

الأول: هو التخرّيج.

والثاني: هو دراسة الإسناد والحكم على الحديث.

فإلى مباحث هذا المقرّر:

تمهيد

منزلة علم التخریح ضمن علوم الحديث

إن منزلة أي علم إنما تظهر من الغرض منه، ومما يُحقِّقه من أهدافٍ، وما يُوصِّلُ إليه من معارف:

- ١- فما هي أهداف علم التخریح؟ وما هي فوائده؟
- ٢- توثيق المرويات - من أحاديث وآثار- بعزوها إلى مصادرها الأصلية التي روتها بالإسناد.
- ٣- تمييز المقالات المنسوبة إلى النبي ﷺ أو إلى السلف الصالح بين ما له أصلٌ يُعرف به مخرجه، يتبين به أنه جزء من تراثنا، وما لا أصل له تمامًا، مما لا نعرف له مخرجًا، ويمكن أن يكون أجنبيًا تمامًا عن الثقافة الإسلامية وتصوراتها.
- ٤- تمييز الصحيح من الضعيف، ومعرفة منزلة الحديث من القبول والرد. تثبيت صحيح المنقول والاعتماد عليه.
- ٥- تنقية التراث من مردود المنقول والتخلص منه.
- ٦- الدفاع عن السنة بنفي الكذب عنها وذبِّ الكذب عن رسول الله ﷺ.
- ٧- الحفاظ على السنة وتجديد الصلة بمصادرها على امتداد الزمان.
- ٨- تطبيق علوم الحديث عمليًا للتمرس فيها وإتقانِ فقه علومها.
- ٩- التعرف على مصادر السنة ومناهجها ووجوه التصنيف فيها.
- ١٠- التعرف على طريقة الإفادة من مصادر السنة، وأين يأتي إسهام كل وجه من وجوه التصنيف فيها ضمن العملية البحثية وأثناء دراسة الحديث.
- ١١- الإطالة على تراثنا الإسلامي بجميع تخصصاته، لسعة دائرة الكتب المرجوع إليها في علم التخریح ودراسة الأسانيد والحكم على الحديث.

ولهذه الفوائد الجليلة كان علم التخريج ودراسة الأسانيد علمًا لا يقوم به إلا من كان قد تَأَصَّلَ تَأَصِيلًا مَتِينًا في علوم الحديث كلها، باختلاف فنونها وتخصصاتها الكثيرة والمتنوعة .

ولكنني سأذكر في هذا التمهيد أصول العلوم التي يجب أن يتمكن منها طالب العلم، ليستطيع أن يمهر في التخريج ودراسة الأسانيد:

العلم الأول: علم أصول الحديث: المتضمن مصطلحات أنواعه، وقواعد القبول والردّ. وهذا هو الذي تَصَمَّنَتْهُ كُتُبُ علوم الحديث النظرية، وتطبيقات أئمة الفن العملية .

العلم الثاني: وهو داخل في الأول، ويُخص لأهميته: وهو علم الجرح والتعديل النظري (القواعد التي تُعرفُ بها منازل الرواة من القبول وعدم القبول) والتطبيقي (وهو: إنزال كلِّ راوٍ منزلته التي يستحقُّها من القبول وعدمه).

فعلى هذا العلم تقوم أهم مراحل دراسة الإسناد.

العلم الثالث: علم العلل: قواعده وأدلته وقرائن الترجيح فيه، ومعرفة مصادر كلام الأئمة فيه، وفهم كلامهم بالعمق المتيح الإفادة منه .

فبغير علم العلل الذي يَدْرُسُ المَتَنَ والإسناد لن يستقيم الحكم على الحديث .

العلم الرابع: عِلْمُ مصادرِ السنة وكُتُبِ تراجم الرواة، ومناهج هذه المصادر كتابًا كتابًا، وطريقة الاستفادة منها، ومعرفة الموجود وما لا يُعْرَفُ مكانُ وجوده، ومعرفة المطبوع والمخطوط، وأحسن طبعاته وأجودها تحقيقًا، وأماكن وجود المخطوط منها .

خاصة وأن المكتبة الحديثية هي أوسع المكتبات، وفنونها أوسع الفنون! ففي علوم الحديث قد قال الحافظ أبو بكر الحازمي (ت ٥٨٤هـ): «علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة، تَقْرُبُ من مائة نوع، وكل نوع منها علم مستقل، لو أنفد الطالبُ فيه عُمُرَهُ لما أدرك نهايته! ولكن المبتدئ يحتاج أن يستطرف من كل نوع؛ لأنها أصول الحديث، ومتى جهل الطالب الأصول، تعذَّرَ عليه طريق الوصول»^(١).

(١) عُجالة المبتدئ وفضالة المنتهي لأبي بكر الحازمي (٣).

وإتقان هذه العلوم الأربعة لا يتم إلا بممارسة التخريج من وقت مبكر من الحياة العلمية للطالب، فبين التخريج والعلم النظري بهذه العلوم تلازم كبير؛ لأن التخريج هو التطبيق العملي لها. ولا يخفى أن التطبيق العملي لتلك العلوم النظرية هو الذي يُرسِّخها في نفس متعلمها، ويدخله تدريجياً إلى مرحلة فقهها وإدراك مآخذها الدقيقة، ليتمكن في النهاية إتقانها جميعاً. ولذلك فإنه ينبغي على الطالب من حين دراسة مختصر في علوم الحديث، أن يبتدئ في التدرُّب والتمرُّن على التخريج. فتخريجه للحديث في هذا الوقت المبكر لا يعني أنه قد أتقنه، ولا يُجيز له تدرُّبه هذا أن يعتقد في نفسه أهلية الحكم على الحديث، ولكننا نطالبه بهذا التمرين لكي يُتقن علوم الحديث (بجميع فنونها) وعلم التخريج أيضاً منها.

لكن عليه أن يتيقن: أنه لن يتقن التخريج إلا بعد أن يكون أتقن تلك العلوم إتقاناً عظيماً، ليستطيع بعد طول ممارسة للتخريج ودراسة الأسانيد، مع توفيق الله تعالى، أن يطمئن إلى أهليته في هذا العلم.